ماذا بعد رمضان؟

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٦ شوال ١٤٣٨ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

قبل أيام قلائل ودّعتم شهرًا مباركًا، جعل الله لكم فيه خيراتٍ كرامًا، وأجورًا عظامًا، وجعل لكم فيه ليلة هي في بركتها وخيراتها وثوابها خيرٌ لكم من عمركم كلّه بدونها، وما من مؤمن إلا وقد اجتهد في شهر رمضان، ما بين مقلّ ومكثر، فكنتم -يا عباد الله- في موسم عظيم من مواسم المتاجرة مع الله.

وإن التاجر الأريب، والمتاجر اللبيب، إذا انتهى من موسم التجارة، يبدأ في المحاسبة، من جهات ثلاث:

أما الجهة الأولى: فمن جهة التحقق من حصول الربح، وأن يكون الربح حقيقيًّا لا وهميًّا، وهكذا يا عبد الله، هكذا يا أمة الله، ينبغي على المؤمن الذي اجتهد في شهر رمضان أن ينظر في ربحه في ذلك الشهر، بأن يخاف ألا يتقبل الله ﷻ منه ما قدّم، لسوء ظنّه بنفسه، كما قال ربّنا ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ [المؤمنون:٦٠].

وقد سألت الصديقة بنت الصديق ﵂ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]، أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال ﷺ: «لا يا ابنة الصديق، ولكنّهم الذين يصومون ويصلّون ويتصدّقون، ويخافون ألّا يُقبَل منهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون:٦١]».

والمؤمن -يا عباد الله- يضمّ إلى خوفه من ألا يُقبل عمله منه، لسوء ظنه بنفسه، يضمّ إلى ذلك رجاء ما عند الله، وأن يتقبل الله عمله، لحسن ظنّه بربّه ﷻ، فإن ربّنا قال كما أخبرنا عنه نبيّنا ﷺ: «أنا عند ظنّ عبدي بي».

فالمؤمن -يا عباد الله- بعد شهر رمضان ينظر إلى أعماله في رمضان بالخوف والرجاء، وهذا يقوده -يا عباد الله- إلى أن يجتهد في الدعاء أن يتقبل الله منه ما قدّمه في شهر رمضان، وقد كان السلف رضوان الله عليهم يجتهدون اجتهادًا عظيمًا في الدعاء بعد شهر رمضان أن يتقبل الله منهم أعمالهم في شهر رمضان.

وأما الناحية الثانية يا عباد الله: فهي من جهة الحرص على ألّا يُتبِع تلك التجارة بِصَفقة خاسرة تطغى على ربح تلك التجارة، أو تُنقص ربح تلك التجارة، وقد قال ربنا ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل:٩٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٣].

فالمؤمن الذي اجتهد في شهر رمضان ينبغي عليه أن يكون حريصًا على ألّا يُتبع شهر رمضان بعمل يُحبط ما قدّمه في رمضان، أو ينقص أجر عمله الذي قدّمه في رمضان.

فبعض الناس -يا عباد الله- يقترب من الله في شهر رمضان، يصلّي، ويصوم، ويقرأ القرآن، ويتصدّق، ويصل رحمه، فإذا انقضى رمضان وانقضت أيّامٌ من شوال ترك الصلاة والعياذ بالله، وتلك ردّة تُحبط عمله، كما قال النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر».

وكثير منّا -يا عباد الله- مَن إذا ذهب شهر رمضان، ودخل في شهر شوال، أخذ يغتاب الناس، ويكذب على الناس، ويظلم الناس، وهذا يُذهب أجور أعماله، قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: «المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وصدقة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب

هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يُقضَى ما عليه أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار».

وأما الناحية الثالثة يا عباد الله: فهي من ناحية استمرار التجارة في الأيام التي تلي الموسم، بأن يستمرّ الربح في تلك الأيام، إلى أن يأتي موسم آخر، وهكذا ينبغي على المؤمن الذي اجتهد في شهر رمضان أن يحرص على استمرار ربحه في بقية الأيام القادمة، حتى يأتي موسم آخر.

وكان حبيبكم وإمامكم وقدوتكم ونبيّكم ﷺ إذا عمل عملاً أثبته، وكان أحبّ الدّين إليه ما داوم عليه صاحبه، وقال ﷺ: «أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ»، وقال ﷺ: «لا تكن مثل فلان»، لا تكن مثل فلان! سبحان الله! ما حال فلان هذا الذي ينهى النبي ﷺ المؤمن أن يكون على حاله؟ «لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل».

وهكذا -يا عباد الله- يكون هذا النهي في كل عمل صالح كان عليه الإنسان، لا ينبغي أن يتركه.

فيا عبد الله! يا عبد الله! اجعل لك من أعمالك في رمضان أعمالاً ثابتةً دائمةً في أيّامك كلّها، فاجعل لك من الصيام نصيبًا، ومن القيام نصيبًا، ومن قراءة القرآن نصيبًا، ومن الصدقة نصيبًا، ولا يكن آخر عهدك بتلك الأعمال شهر رمضان، فإن أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ، فاحرص -رعاك الله- على أن تكون من المجتهدين في الأعمال الصالحة في أيّامك القادمة.

عباد الله! عباد الله! كنتم في شهر رمضان في نهاره صُوّامًا، وفي ليله قُوّامًا، أفئدتكم لربّكم شاكرة، وألسنتكم لربّكم ذاكرة، أعمالكم على الخير دائرة، ونفوسكم للمعاصي هاجرة، وقد رأيتم بذلك سكينةً في حياتكم، وسكينةً في بيوتكم، وطمأنينةً في قلوبكم، ولذّةً في قلوبكم، فعلى ماذا عزمتم -عباد الله- بعد شهر رمضان؟

- أتُراكم -ولا أحسبكم إلا كذلك- تبقون في طاعة الرحمن، ومن حزب الرحمن؟
- أم أنكم -والعياذ بالله من ذلك، وحاشاكم من ذلك- تتساقطون في شِبَاك الشيطان، وتبتعدون عمّا يحبّه الرحمن؟

عباد الله، بَانَ لكم بِعَين البصيرة والحقيقة أنّ طيب الحياة، وسكينة الدنيا، ولذّة الدنيا، إنما هي في طاعة الله ﷻ، وأنك -يا عبد الله- بمقدار قربك من الله تنال جنة الدنيا، ونعيم الدنيا، وطيب الحياة في الدنيا، ألا فاتقوا الله عباد الله، واستمرّوا على طاعة الله.

عباد الله، إن شهر رمضان مدرسة للمؤمنين، وإن من دروس تلك المدرسة أنه بان لنا باليقين أن المؤمن إذا صدقت عزيمته قادرٌ على فعل الخيرات، وعلى ترك المحرّمات.

ألا ترون -عباد الله- كيف أن المؤمن في شهر رمضان لّما صحّت إرادته، وصدقت عزيمته، صام في الأيام الحارّة أكثر اليوم؟ خمس عشرة ساعة في بلدنا هذا، وقد يكون في بعض بلدان المسلمين أكثر من هذا، صام وأمسك عن الطعام والشراب والشهوة، لأن عزيمته صادقة، وإرادته صحيحة.

ألا ترون -عباد الله- أن بعض إخواننا المؤمنين الذين ابتلاهم الله ﷻ بشرب الدخان -أسأل الله أن يخلّصهم من هذه الآفة عاجلاً غير آجل- ألا ترون -يا عباد الله- أن الواحد منهم في شهر رمضان يُمسك عن شرب الدخان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، خمس عشرة ساعة، لا يشرب الدخان؟ ولماذا كان هذا يا عباد الله؟ لصحّة إرادته، وصدق عزيمته، ولذلك تراه ما إن يفطر حتى يبادر إلى شرب الدخان؛ ما الفرق بين الأمرين؟ إنه صدق العزيمة، وصحة الإرادة.

فيا عبد الله، إياك، إياك، إياك أن تقول: لا أستطيع، فإن العجز إنما هو في الإرادة، فاحرص وصحّح إرادتك في فعل الخيرات وترك المحرمات، واستعن بالله ولا تعجز.

عباد الله! عباد الله! قد أطال الله أعماركم بعد رمضان، فكونوا من المؤمنين الأخيار الذين لا تزيدهم أعمارهم إلا خيرًا، فتَحسُن أعمالهم، ويتخلّصون من ذنوبهم، وإياكم أن تكونوا ممّن يزيده طول عمره بُعدًا عن الخيرات وإصرارًا على المنكرات، يقول حبيبكم ونبيكم ﷺ: «إنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا»، وسُئل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ فقال ﷺ: «من طال عمره، وحسن عمله»، وسُئل ﷺ: أي الناس شر؟ قال: «من طال عمره، وساء عمله».

تقبّل الله منكم جميعًا، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية: من أحكام صيام الست من الشوال]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا معاشر المؤمنين:

إن للصوم فضائل وأجورًا كريمة، قد سمعتموها في الخطب والمواعظ في شهر رمضان، وإن هذه الفضائل لَتجعل المؤمن يتمنّى لو أن يصوم الدهر، لكنه منهيّ عن صيام الدهر، لكنّ ربّنا الرؤوف الرحيم جعل لنا صيامًا قليلاً يحصل لنا به أجر صيام الدهر.

ومن ذلك: أن يصوم المؤمن من كل شهر ثلاثة أيام، مع صيام شهر رمضان، قال النبي ﷺ: «من صام من كل شهر ثلاثة أيام كان كصيام الدهر».

ومن ذلك يا عباد الله: أن يصوم المسلم ستة أيام من شوال بعد صوم رمضان، فقد قال ﷺ: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستًّا من شوال، كان كصيام الدهر»، وقد بيّن النبي ﷺ كيف يكون ذلك كصيام الدهر، فقال ﷺ: «صيام رمضان بعشرة شهور، وصيام الست بشهرين، فذاك صوم السنة».

وأنت -يا عبد الله- إذا تأمّلت في هذا تجد أن هذا ينطبق على صيام ستة أيام من كل شهر، سواء من شوال، أو من ذي القعدة، أو محرم، أو صفر، وهنا لك -أيها المؤمن- أن تتساءل: لماذا خصّ النبي ﷺ شوال بهذا الثواب العظيم دون بقية الشهور، وهو ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٤]، لا بد -يا عبد الله- من أن يكون للصيام في شوال مزيّة خاصة تزيد عن بقية الشهور، ولا شك في هذا، وقد بيّن المحققون من العلماء هذه المزايا.

فمنها يا عبد الله: أن شهر شوال حِمَى لشهر رمضان، ومن المتقرر أن الحِمَى يأخذ من فضل أصله، فالصيام في شوال يأخذ من فضل الصيام في رمضان، وهذا لا يوجد في بقية الشهور.

ومن ذلك يا عباد الله: أن الصيام في شوال كالسنّة الراتبة لصيام رمضان.

ومن ذلك يا عباد الله: أن الصيام في شوال ممّا يُكمَل به صيام رمضان، فإن المؤمن قد يكون قد حصل له نقص في صيام الفريضة، فيُكمَل من التطوع، والمؤمن حريص على أن يكون صومه لرمضان كاملاً، فيبادر إلى أن يصوم في شوال من أجل أن يُكمِل صوم رمضان.

ومن ذلك: أن الصوم في شوال يدلّ على أن المؤمن إنما يصوم لله ﷻ، وأنه يحبّ الصوم، فهو قد صام شهرًا كاملاً، ومع ذلك يبادر إلى صيام ستّة أيام في شهر شوال، وهذا يدلّ على قوة إيمانه، وحبّه للصيام، وأنه يصوم لله ﷻ.

فاحرصوا -رعاكم الله- على صيام ستة أيام من شوال.

وهذا الفضل يحصل لمن صام ستة أيام من شوال، سواء فرّقها أو صامها متتابعة، وإن كان الأفضل لمن يستطيع أن يصومها متتابعة، من أجل المبادرة والمسارعة إلى الخيرات، لكن من فرّقها فإن الثواب الموعود يحصل له إن شاء الله.

وقد اختلف فقهاؤنا قديمًا وحديثًا: هل من كان عليه قضاء من رمضان، فصام الست من شوال، يحصل له هذا الثواب الموعود؟

والأقرب في نظري والله أعلم: أن صيام الست إنما شُرع لمن أتمّ صيام رمضان، فإن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستًّا من شوال، كان كصيام الدهر»، فاحرص -رعاك الله- على أن تبدأ بالقضاء إن كان عليك قضاء، ثم تصوم الست من بعد ذلك.

وهل للمؤمن أن يجمع بين النيّتين، فينوي بصيام يومٍ واحدٍ القضاء وصيام الست من شوال؟

والجواب: أنه ليس له ذلك، لأن القضاء فرض واجب، والفرض في الصيام لا يحتمل التشريك، فيبدأ بصيام القضاء، ثم يُتبعه بصيام ستّ من شوال، وليبشر بالخير من الله ﷻ.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاةً واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فاللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا ممّن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين.

اللهمّ إنّا نحبّك فأحبّنا، اللهمّ إنّا نحبّك فأحبّنا، اللهمّ إنّا نحبّك فأحبّنا.

اللهمّ نسألك رضوانك والجنة، اللهمّ نسألك رضوانك والجنة، اللهمّ نسألك رضوانك والجنة.

اللهمّ اغفر لنا ذنوبنا، ووسّع لنا في دُورنا، وبارك لنا في أرزاقنا.

اللهمّ يا ربّنا، يا كريم يا جواد، أكرمنا أجمعين.

اللهمّ يا ربّنا، إنّا اجتهدنا في شهر رمضان، وإنّا معترفون بتقصيرنا، وغير مغرورين بأعمالنا، لكنّ ظنّنا فيك أحسن الظنون، ورجاءنا فيك أعظم الرجاء، اللهمّ فتقبّل منّا ما قدّمنا، وضاعفه لنا أضعافًا مضاعفة، واجعلنا نفرح به عند لقائك يا رب العالمين، اللهمّ اجعل ما قدّمناه في رمضان سببًا لفرحنا عند لقائك يا رب العالمين.

اللهمّ إنّا قد فرحنا عند فطرنا، فاجعل فرحنا الأعظم برؤية وجهك الكريم يا رب العالمين، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا.

إلهنا، إلهنا، إلهنا، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، كما جمعتنا في هذا المسجد، في هذه الفريضة، أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا ومن نحبّ في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا.

اللهمّ إنّا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرةً من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

إلهنا قد أذنبنا، إلهنا قد أذنبنا، إلهنا قد أذنبنا، وها نحن -يا ربّنا- ندعوك ونسألك أن تغفر لنا، اللهمّ فاغفر لنا أجمعين، اللهمّ اغفر لنا أجمعين، اللهمّ اغفر لنا أجمعين.

اللهمّ اجعل أيامنا القادمة خيرًا من أيامنا الماضية، اللهمّ اجعلها قُربًا لك يا رب العالمين، اللهمّ باعد فيها بيننا وبين ما تبغضه كما باعدت بين المشرق والمغرب يا رب العالمين.

إلهنا، أنت أعلم بنا منّا، اللهمّ من كان منّا على طاعة اللهمّ فثبّته عليها، واقبلها منه يا رب العالمين، ومن كان منّا على معصية اللهمّ فكرّهه فيها يا رب العالمين، اللهمّ فكرّهه فيها يا رب العالمين، اللهمّ فكرّهه فيها يا رب العالمين، وارزقه توبةً صادقة ترضى بها عنه يا رب العالمين.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلّى الله على ونبيّنا وسلّم.